

التشارك المعرفي في فكر كارل مانهايم

نحو استكشاف العلاقة بين المعرفة والمجتمع

Knowledge Sharing in the Thought of Karl Mannheim: Towards an exploration of the relationship between knowledge and society

سومية زايدي^{1*}، زهير بوضرسة²

¹ مخبر مشكلات اجتماعية في المجتمع الجزائري، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)، zaidi.soumia@univ-oeb.dz

² مخبر مشكلات اجتماعية في المجتمع الجزائري، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)، boudersa.zoheir@univ-oeb.dz

تاريخ القبول: 2026/02/05

تاريخ الإرسال: 2025/02/28

ملخص:

كانت المعرفة وما زالت حقلًا خصبا للبحوث والدراسات في مختلف المجالات الفكرية، والعلمية والفلسفية، إذ حظيت باهتمام المفكرين والعلماء رغم اختلاف انتماءاتهم، مدارسهم الفكرية، ومن بينهم علماء اجتماع المعرفة الذين رأوا أن المعرفة هي عملية اجتماعية يتم إنتاجها ومشاركتها في سياق اجتماعي تاريخي ثقافي معين، وبالتالي لا يمكن تفسيرها بعيدا عن الحياة الاجتماعية، وهذا ما عبر عنه (كارل مانهايم K.Mannheim 1813-1947) في أعماله.

لذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على مساهمة (كارل مانهايم) الثرية في حقل علم اجتماع المعرفة، وذلك بالبحث عن المحددات الاجتماعية للمعرفة، ومحاولة استنباط مفهوم التشارك المعرفي وفهمه في ضوء أفكاره، وتفحص أهم القضايا التي طرحها، والتي تركزت في مجملها حول الطابع الجمعي للمعرفة، والعمليات الاجتماعية المؤثرة فيها، ودور التفاعل الاجتماعي في تشكيل المعرفة.

كلمات مفتاحية: كارل مانهايم؛ معرفة؛ تشارك معرفي؛ طابع جمعي؛ تفاعل اجتماعي؛

Abstract:

Knowledge has long been and remains a fertile field for research and studies in various scientific and philosophical fields, as it received the attention of thinkers despite their different affiliations, including sociologists of knowledge who saw that knowledge is a social process that is produced and shared in a specific socio-historical and cultural context, and therefore cannot be explained apart from social life, as expressed by Karl Mannheim (1813-1947) in his works.

Therefore, this paper aims to identify the contribution of Karl Mannheim in the search for the social determinants of knowledge, and try to derive the concept of knowledge sharing and understand it in the light of his ideas, by examining the most important issues he raised, which centered on the collective nature of knowledge, the social processes affecting it, and the role of social interaction in the formation of knowledge.

Keywords: Karl Mannheim; knowledge; knowledge sharing; collective character; social interactivity

1- مقدمة:

احتل مفهوم المعرفة حيزاً كبيراً في أعمال (كارل مانهايم) K.Mannheim (1813-1947)، إذ عبر عن رفضه للموقف الذي يربطها بأصول فردية بحتة، وعمل على تأكيد الطابع الجمعي لها، من خلال مساهمته الفعالة في فهم العلاقة المعقدة القائمة بين المعرفة والمجتمع، وركز في دراساته على الطبيعة الاجتماعية للمعرفة، وكيفية تشكل الأفكار والمعتقدات ضمن السياق التفاعلي الاجتماعي، وكذا دراسة العلاقة بين الأفكار والظروف الاجتماعية التي تنتجها.

والتشارك المعرفي مفهوم من المفاهيم المتجذرة في فكر (مانهايم)، وإن لم يعبر عنه بصورة صريحة في أعماله، لكنه عبر عنه بطرق مختلفة، وذلك بالتركيز على الطبيعة التعاونية التشاركية للمعرفة، وكذا التفاعل الاجتماعي، والتأثير المتبادل بين الفكر والظروف الاجتماعية التي ينشأ فيها. وقبل التوصل لاستنباط مفهوم التشارك المعرفي وأهميته عند (مانهايم) لابد أولاً من التعرف عليه، وعلى مساره الفكري، ثم عرض لأهم أعماله، ومساهمته في بلورة علم اجتماع المعرفة، وأهم القضايا التي تطرق لها في دراساته (الطابع الجمعي للمعرفة، علاقة المعرفة بالجماعات الاجتماعية، النسبية المعرفية، الأيديولوجيا واليوتوبيا)، ومن ثم التوصل إلى مفهوم التشارك المعرفي عنده وأهميته، وكذا تحديد العلاقة بين المعرفة والمجتمع.

2- كارل مانهايم: حياته ومساره الفكري:

ينتمي (كارل مانهايم) إلى جيل من علماء الاجتماع المتميزين، لتنوع دراساته وثنائها، فقد تناول مواضيع عن الاقتصاد، والطموح الاقتصادي، والمنافسة، وهياكل التفكير، والمواضيع المشابهة في علم اجتماع الثقافة، بالإضافة إلى أعماله اللاحقة في علم الاجتماع السياسي. وفوق كل ذلك اشتهر بأعماله المنهجية والموضوعية، بدءاً من مقالته الأساسية عن الفكر المحافظ، في التخصص الفرعي الذي ساعد في تأسيس "علم اجتماع المعرفة". (Scott, 2006, p. 81).

وُلد (مانهايم) في بودابست بالمجر عام 1893 وتوفي في لندن، إنجلترا، عام 1947، تلقى القسط الأوفر من تعليمه في ألمانيا، ثم قضى الأربعة عشر سنة الأخيرة من حياته في لندن، ينتمي (مانهايم) إلى المفكرين المجر المهتمين بمجال القيم الإنسانية والثقافة بشكل خاص، وظهر تأثيره الكبير بأعمال (زيمل) و(فيبر) حول مشكلات الثقافة والأبستمولوجيا، وحاول خلال فترة العشرينات بلورة مدخل سوسيولوجي تفسيري لتحليل الصور والأشكال المختلفة للمعرفة (السيد، 2023، الصفحات 193-194).

عايش (مانهايم) فترة سياسية عصيبة أثناء الحرب العالمية الأولى، رافقها جو فكري متصارع، وكان لهذه الظروف أثرها في تشكيل فكره، وإلى جانب ذلك تأثر ببعض الاتجاهات الفكرية آنذاك

التشارك المعرفي في فكر كارل مانهايم، نحو استكشاف العلاقة بين المعرفة والمجتمع

وعلى رأسها "الماركسية" التي تعد أحد التيارات الأساسية التي أثرت بعمق في الاتجاه العقلي التاريخي له (السيد، 2023، صفحة 195).

لكن تجدر الإشارة أنّ (مانهايم) لم يكن ماركسيا خالصا، فقد انطلق من بعض المفاهيم الأساسية في النظرية الماركسية، لكنه لم يتبنى النظرية بأكملها، بل حاول إيجاد مخرج للصراع القائم بين الفكر البرجوازي والفكر الاشتراكي (معتوق، 1982، الصفحات 160-161) رافضا الربط الماركسي بين (الطبقة) و(الأيدولوجيا)، واستبدل الطبقة بحركة التاريخ كمصدر للفكر، وأن الفكر لا يفهم في حدود الطبقة فقط، بل في إطار الظروف التاريخية والاجتماعية أيضا (عليان، صفحة 79).

ويظهر التطور الفكري ل(مانهايم) كعملية تتضمن الانتقال من النظرية الاجتماعية الثقافية النسبية إلى النظرية الاجتماعية الثقافية الآلية، وذلك وفقا لأربعة تغييرات، وهي كالآتي: (REMMLING, 2015, pp. 8-9)

الجدول 1: يمثل تطور سوسيولوجيا كارل مانهايم

المراحل	أهم الاهتمامات	أهم الأعمال
المرحلة الأولى (1918-32)	- الفلسفة - علم اجتماع المعرفة - علم اجتماع التخطيط	الأيدولوجيا واليوتوبيا
المرحلة الثانية (1933-8)	- علم اجتماع التخطيط	الإنسان والمجتمع في عصر إعادة الإعمار
المرحلة الثالثة (1939-44)	- علم اجتماع الدين - علم اجتماع القيم - علم اجتماع التربية	تشخيص الدين في عصرنا هذا
المرحلة الرابعة (1945-7)	- علم الاجتماع السياسي	الحرية والسلطة والتخطيط الديمقراطي

(REMMLING, 2015, p9,)

فمن وجهة نظره الخاصة، كان من المتوقع فقط أن يتغير مفهومه للعلم الاجتماعي عندما خضع "موقعه" الاجتماعي الخاص إلى تحول جذري. في ألمانيا، كان "موقعه" هو موقع المثقف التقدمي "المنفصل" عن مجموعات المصالح المتصارعة، ولكنه يسعى إلى "الارتباط" بالقوى

الاجتماعية الخلاقة للمستقبل، أما في إنجلترا، فقد أصبح "لاجئاً" لديه بعض الحكايات المروعة ليرويها، وبالنسبة له كان يتذكر بوضوح الماضي الذي كان بالنسبة للمجتمع المضيف مجرد مستقبل محتمل، يُنظر إليه بتوجس، لم يكن "الانفصال" الذي مارسه ولا "الارتباط" الذي كان يسعى إليه في ألمانيا ممكناً في الوضع الجديد، وبدلاً من ذلك، كان عليه أن يكون "مفيداً" كوافد جديد - كان عليه أن يضع خبرته تحت تصرف المجتمع الذي عاش فيه.

وفقاً لهذا التغيير الذي طرأ على دوره، أصبح مفهومه لعلم الاجتماع أقل منهجية وأكثر براغماتية. لا يعني ذلك أنه كان يعتبر علم الاجتماع كنظرية "خالصة" - في فترته الألمانية أيضاً، كان العمل العلمي بالنسبة له تعبيراً عن دافع حيوي تأسس في نهاية المطاف في السعي الجماعي (Mannheim, 1953, pp. 9-10)

أعماله الرئيسية:

✓ هياكل التفكير.

Structures of Thinking. 1922—4. London: Routledge & Kegan Paul, 1982.

✓ المحافظة.

Conservatism. 1925. London: Routledge & Kegan Paul, 1986, 2001.

✓ مقالات في علم اجتماع المعرفة.

Essays in the Sociology of Knowledge. 1923—30. London: Routledge & Kegan Paul, 1952.

✓ علم الاجتماع كترية سياسية.

Sociology as Political Education. 1930. New Brunswick, NJ: Transaction Publishers, 2001.

✓ الأيديولوجيا واليوتوبيا

Ideology and Utopia. Rev. 1936. London: Routledge & Kegan Paul.

✓ الإنسان والمجتمع في عصر إعادة البناء.

Man and Society in an Age of Reconstruction. 1935—7. London: Routledge & Kegan Paul, 1940.

✓ مقالات في علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

Essays in Sociology and Social Psychology. 1936—40. London: Routledge & Kegan Paul, 1953.

✓ تشخيص عصرنا

Diagnosis of Our Times. 1939—43. London: Routledge & Kegan Paul, 1943

3- كارل مانهايم وتأسيس علم اجتماع المعرفة:

ترجع البدايات الأولى لعلم اجتماع المعرفة إلى النظرية المادية التاريخية ل(ماركس)، وتحليله للمعرفة وأشكالها المختلفة التي يعود مصدرها للبناء التحتي، ثم تطور هذا الحقل المعرفي بظهور المفكر الألماني ماكس شيلر (1872-1928) الذي يعد أول من أطلق عليه تسمية "علم اجتماع المعرفة" (نجم، 2009، صفحة 28).

ويعرف علم اجتماع المعرفة بأنه فرع من فروع علم الاجتماع الذي يدرس العلاقة بين الفكر والمجتمع، ويهتم بالظروف الاجتماعية والشروط الوجودية للمعرفة، أي محاولة ربط الأفكار بال قاعدة الاجتماعية أو التاريخية التي نشأت فيها، أو استقبلتها (السيد، 2023، الصفحات 43-44) لأن فهم الأفكار لا يتم إلا بوضعها في مناخها الاجتماعي، فالتركيب الاجتماعية ملازمة للتركيب المعرفية.

وظهرت الصياغة العامة لهذا الحقل المعرفي على يد (كارل مانهايم) في كتابه: "الأيدولوجيا والبيوتوبيا" (1929)، وعرفه بأنه العلم الذي يدرس طرق تأثير الظروف الاجتماعية في المنتجات الذهنية أو المعرفة (السيد، 2023، صفحة 33)، لأن إنتاجية المشاركة الاجتماعية كمصدر للمعرفة يلعب دورًا بالغ الأهمية في فهمها (Mannheim, 1953) فعلم اجتماع المعرفة -حسبه- هو نظرية في التحديد الاجتماعي أو الوجودي للفكر، فكل الأفكار والمعارف مرتبطة بموقع محدد داخل البناء الاجتماعي، وضمن العملية التاريخية (السيد، 2023، صفحة 57) أي أن علم الاجتماع المعرفي يمكن اعتباره بحثًا تاريخيًا يحاول استكشاف العلاقة بين المعرفة والمجتمع، كما أنه نظرية تحاول تفسير علاقة المعرفة بالوجود، وبالتالي فقد حلَّ علم الاجتماع المعرفي محل الأبنستمولوجيا التقليدية؛ وذلك من خلال ربط الفكر والمعرفة بالظروف الثقافية والتاريخية في محاولة للكشف عن معيار لتحديد العلاقات المتشابكة بين الفكر والعقل (نجم، 2009، الصفحات 61-63) وهنا تظهر مساهمة (مانهايم) في بلورة هذا الحقل المعرفي باعتباره اتجاهًا نظريًا يهتم بمجالين رئيسيين هما: (Merton, 1968, p. 548)

- البحث الأمبريقي البحث: يظهر من خلال عمليات وصف وتحليلات بنائية لمختلف الطرق المستخدمة في دراسة العلاقات الاجتماعية والواقع المؤثر فيها.

- البحث الأبنستمولوجي: يهتم بالعلاقات المتداخلة بين أجزاء النسق الاجتماعي. ف(مانهايم) وفقا لهذا التقسيم المنهجي استطاع أن يبتكر مبحثًا اجتماعيًا جديدًا يجمع بين مضامين الأبنستمولوجيا، ووقائع علم الاجتماع، والبيئة التاريخية، وذلك باهتمامه بالبنية الكلية للفكر الاجتماعي (معارك، 2017، صفحة 501) فعلم الاجتماع المعرفي إذن هو نظرية، ومنهج سوسيولوجي تاريخي يعمل على دراسة أثر البنى الاجتماعية على إنتاج المعرفة.

4- القضايا الأساسية في أعمال مانهايم:

دارت أعمال (مانهايم) حول ثلاث قضايا رئيسية، هي: توضيح الطابع الجمعي للمعرفة، تصنيف أساليب الفكر والتمييز بين المعرفة في الفكر البرجوازي والبروليتاري، توضيح العلاقة بين المعرفة والجماعات الاجتماعية، واستند في دراساته على تحليل السياق التاريخي للفكر وربطه بالبناء الاجتماعي للجماعة (عليان، صفحة 79)، ومن القضايا التي تطرق إليها أيضا: النسبية المعرفية، الأيديولوجيا واليوتوبيا.

1-4 - توضيح الطابع الجمعي للمعرفة (المعرفة الاجتماعية):

ويقصد (مانهايم) بالذات الجمعية المفكر الفرد الذي يعبر عن وجهة نظر جمعية، وليست فردية، وأن أعماله تعبر عن أحداث ومجريات الأمور الاجتماعية الخارجية (السيد، 2023، صفحة 200) فالفرد -حسبه- لا يستطيع أن يفكر بمفرده، ولا يستطيع أن يختلف أو يتميز بمفرده أيضا، فهو يبدأ بأفكار الآخرين، لأنه جزء متكامل متصل ينتهي إلى جماعة اكتسب من خلالها المعاني التي يفسر من خلالها الحياة، والعالم ككل، ويطور معانيه داخلها، لذا اعتبر تطور المعرفة في الجماعة مظهر اجتماعي لحياتها، بل اعتبرها شكلا من أشكال العملية الاجتماعية ذاتها (السيد، 2023، الصفحات 202-203) فمن الخطأ القول بأن الفرد الواحد يفكر، والأصح أن نقول أنه يشارك في التفكير بما فكر به أفراد آخرون قبله، إنه يجد نفسه في وضع موروث مع أنماط من التفكير التي تتناسب مع هذا الموقف، ويحاول أن يطور هذه الأنماط أو أن يستبدلها بأنماط أخرى من أجل التعامل بشكل أكثر ملاءمة مع التحديات الجديدة الناشئة عن التحولات والتغيرات الطارئة، لذلك فإن كل فرد يحمل معنى مزدوجا محددا مسبقاً بحقيقة نشأته في مجتمع ما، فالأفراد الذين يعيشون في مجموعات لا يتعايشون كأفراد منفصلين، أو ككائنات منفردة، بل يتصرفون مع بعضهم البعض، وضد بعضهم البعض في مجموعات منظمة متنوعة، وهذا النشاط الجماعي هو الخيط الموجه لمفاهيمهم وأشكال تفكيرهم، وحتى لظهور مشاكلهم، ويتوافق مع السياق الخاص للنشاط الجماعي الذي يشاركون فيه (Mannheim، 1936، الصفحات 3-4) ففعل المعرفة وفق الطرح المانهيمي يمثل في جوهره فعلا جمعيا، لذا يتطلب وجود عائلة معرفية ذات جذور متأصلة في الخبرة الجمعية (عنصر، 2003، صفحة 19) أي أن المعرفة لا تنفصل عن سياقها الاجتماعي الذي نتجت فيه، لأن المجموعات الاجتماعية التي نشأ فيها الفرد تؤثر بشكل كبير على نوعية المعرفة التي يكتسبها، كما تؤثر أيضا على آرائه ومعتقداته.

2-4 - علاقة المعرفة بالجماعات الاجتماعية:

أكد (مانهايم) أن المعرفة لا تتطور في فراغ، بل هي جزء لا يتجزأ من العملية الاجتماعية، بمضمونها الملموس المتمثل في صدام، وصراع المصالح الاجتماعية الحقيقية (Mannheim، 1953، pp. 9-10) وهذا يدل أن المعرفة تتأثر بمعطيات الجماعة الاجتماعية التي تنتمي إليها بكل عملياتها

وصداماتها، كما أن استعمال نفس المفاهيم يختلف من فئة اجتماعية إلى أخرى، وضرب مثالا لذلك بمفهوم: "الأنا"، أو "المال"، فهي تعني أشياء أو أموراً في نسق اجتماعي معين، وتعني أمراً مختلفاً في نسق اجتماعي آخر، فالفئات الاجتماعية تلعب دوراً هاماً لأنها تعطي المفاهيم نوايا جديدة وتخضعها لقوانين جديدة أيضاً مستمدة من الموروثات القديمة، لكن في إطار وظيفة مختلفة عن الوظيفة السابقة (معتوق، 1982، الصفحات 158-159)، والمقصود هنا هو أن الألفاظ والمفاهيم تكتسب معانيها من الجماعة، أن العلاقة بين الألفاظ والمعاني ليست علاقة اعتباطية، فالألفاظ والأفكار تأخذ صبغة وخصائص المجموعة التي تنتمي إليها، فهو بهذا يؤكد أن المعاني تتغير بتغير الجماعات الاجتماعية، فكل لفظ أو فكرة تتغير دلالاته بتغير الجماعة التي تفسره. وهذا الدور الذي تلعبه الفئات الاجتماعية يجعل منها أجساماً حية تتفاعل مع تأثيرات الواقع الاجتماعي، فكل فكرة تكتسب معنى جديداً بمجرد تطبيقها على نمط جديد من الحياة، وبالتالي يجب على الباحث في هذا السياق دراسة ارتباط الأفكار بالفئات الاجتماعية، وكما يتغير واقع الفئات الاجتماعية بتغير الأفكار بالضرورة، فهي إذن ذات طابع ديناميكي، لذا أكد (مانهايم) على ضرورة العودة إلى الأصل التاريخي والاجتماعي لفكرة معينة، ومتابعة تطورها، وملاحظة ما يطرأ من تغيير في وظيفتها (معتوق، 1982، صفحة 160) لأن الفرد حسبه غير قادر على إنتاج المعرفة، أو التأثير في المجتمع بمعزل عن الجماعة.

3-4 - النسبية المعرفية:

أثبت (مانهايم) في دراساته أن مفهوم "النسبية" كان موجوداً في العلوم الإنسانية والاجتماعية كنزعة قبل أن تتكسر على شكل حقيقة علمية في الفيزياء، أما النسبية التي يقصدها فهي "النسبية الاجتماعية" التي تعمل على إعادة تفسير الظواهر انطلاقاً من الحياة الاجتماعية (معتوق، 1982، الصفحات 140-141) وهذا معناه أن كل جماعة تعيش في عالم من الأفكار تختلف عن الجماعات الأخرى، وبالتالي فكل جماعة تكتب تاريخها في كل مرحلة حسب تطورها ونموها (عليان، صفحة 80) والمقصود بالنسبية عنده هو "الارتباطية"، وليس "الاعتباطية"، أي نسب الأفكار الفردية إلى البنية الكلية لشخص اجتماعي-تاريخي معين (مانهايم، 1980، الصفحات 324-325) أي أنه لا توجد حقيقة مطلقة، أو معرفة مطلقة، فكل معرفة تعتمد على منظور المجموعة الاجتماعية التي أنتجتها، كما أنها تتغير بتغير السياق الاجتماعي أو التاريخي وبالتالي ف"الفكر كله نسبي، ومهما ابتعدت الفكرة عن الواقع الاجتماعي تبقى مشدودة إليه" (معتوق، 1982، صفحة 153).

4-4 - الأيديولوجيا واليوتوبيا:

يقصد (مانهايم) بالأيديولوجيا نسقاً من الأفكار لجماعة محددة لها اهتمامات مشتركة، وترتبط أيديولوجية الجماعة بمصالح أعضائها الذين لهم القدرة على التفكير فيما يرغب أن تفكر

فيه الجماعة (نجم، 2009، صفحة 67) أي أنها تفكير من أجل العمل والفعل في موقف معين، وتعني أيضا مدى تأثير الفكر بعوامل غير منطقية كالجماعة الاجتماعية، لأن الانسان يفكر في حدود توقعات الجماعة، وبالتالي تختلف أنماط تفكيره باختلاف الجماعات المؤثرة من جهة، وبالمرحلة التاريخية من جهة أخرى، لذا يخلص أن كل أشكال التفكير ذات طابع أيديولوجي (السيد، 2023، الصفحات 208-207) فالأيديولوجيا وفق رؤيته هي مجموع الأفكار والمعتقدات التي تخدم مصالح فئة معينة، وتتأثر بعدة عوامل على رأسها الجماعة الاجتماعية.

واستعار (مانهايم) مفهوم "الأيديولوجيا" ونقحه من النظرية الماركسية، حيث آمن بالمفهوم القائل بأن الأيديولوجيات يجب أن تُفهم على أنها "وظيفة" لبعض المواقع الاجتماعية المميزة، وأن الأيديولوجيات هي أيديولوجيات اجتماعية تركز على أسس اجتماعية، فهي إذن "قابلة للنسب" إلى موقع اجتماعي معين، مستبعدا مفهوم السببية، وهو لا يدعي أن جميع الأفراد الذين يتشاركون موقعا اجتماعيا واحداً يعتنقون الأيديولوجية نفسها، ومع ذلك كان واثقا أنه يمكن إثبات وجود "تطابق" في الأفكار، وأنه لا يمكن توضيح الأيديولوجية إلا بالرجوع إلى الأساس التجريبي (Scott, 2006, p. 83) فالمحدد الأساسي للأيديولوجيا هو ربطها بالواقع الاجتماعي.

ويختلف طرح (مانهايم) عن النظرية الماركسية في ناحيتين مهمتين، هما: (Scott, 2006, p. 85)

- أولاً، دعا إلى تحديد المواقع الاجتماعية، وكذا الموقع الطبقي الاقتصادي كأساس للأيديولوجيات، إذ أكد بوضوح أن الماركسية أيديولوجية مثلها مثل "الليبرالية"، أو "البرجوازية"، أو "المحافظة".

- ثانيا، أكد أن الأيديولوجية هي نمط جزئي، تشكل فيه سوسيولوجيا المعرفة شكلا من أشكال "العلاج"، لأنها استراتيجية تجعل المعرفة الاجتماعية المتاحة تأخذ شكلا يعزز إدارة الشؤون الإنسانية بشكل معقول.

أما اليوتوبيا فتعكس نضالات الجماعات المقهورة في بحثها عن تغيير الأوضاع القائمة، فالتفكير اليوتوبي بهذا متنافر مع الموقف الاجتماعي (السيد، 2023، الصفحات 210-211) أي أننا ننشد أشياء غير موجودة في الوضع القائم، ونعمل على تحقيقها، ولو توصل الأمر إلى تعديل أو تغيير النظام الراهن (نجم، 2009، صفحة 68) .

فالهدف من اليوتوبيا هو تعبئة الجماهير ودفعهم للعمل من أجل تحقيق مصالحهم وأهدافهم، لذا نجدها تحمل رؤية مستقبلية، وتختلف الأيديولوجيا عن اليوتوبيا في النقاط الموضحة في الجدول الموالي : (نجم، 2009، الصفحات 68-69).

التشارك المعرفي في فكر كارل مانهايم، نحو استكشاف العلاقة بين المعرفة والمجتمع

جدول 2: يمثل الفرق بين الأيديولوجيا واليوتوبيا

اليوتوبيا	الأيديولوجيا
تحاول ترضية الناس بالحاضر والوضع القائم، فيصبح فكر الطبقة الحاكمة أكثر ارتباطا بالمصلحة (السيد، ص211)	تنهض للتمسك بالأمن والحفاظ على الوضع القائم، فيصبح فكر الطبقة الحاكمة أكثر ارتباطا بالمصلحة (السيد، ص211)

من إعداد الباحثين انطلاقاً من معطيات نظرية

ورغم الاختلاف بين مفهومي الأيديولوجيا واليوتوبيا إلا أنه يصعب التفريق بينهما، ويعود ذلك لكون كل منهما لا يولدان منفصلين عن بعضهما في العمليات التاريخية، فهما عنصران متلازمان وضروريان عند (مانهايم)، وسوف يؤدي اختفاؤهما إلى ضعف الإرادة الإنسانية (نجم، 2009، صفحة 69)

وانطلاقاً مما تم عرضه في هذا العنصر حول القضايا الأساسية لأعمال (مانهايم)، يمكننا عرضها في الشكل الموالي:

شكل رقم 1: يمثل القضايا الأساسية في أعمال كارل مانهايم



إعداد الباحثين انطلاقاً من معطيات نظرية

5- استنباط مفهوم التشارك المعرفي وأهميته في فكر مانهاييم:

5-1- تعريف التشارك المعرفي:

عرّف (كونيلي) مشاركة المعرفة بأنها تبادل المعرفة، أو السلوك الذي يساعد الآخرين بالمعرفة، ورأى (إيبي) أن مشاركة المعرفة بين الأفراد هي العملية التي تتحول فيها معرفة الأفراد الخاصة إلى فهم واستيعاب واستخدام من قبل الآخرين، وهذا يعني أن مشاركة المعرفة هي سلوك واع (Zheng, 2017, p. 52).

ويقصد بمشاركة المعرفة أيضاً: إدراك الاحتياجات المعرفية، وبناء البنية التحتية التقنية والمنهجية، وإتاحة المعرفة للآخرين الذين يحتاجون إليها، وبالتالي فإن مشاركة المعرفة بين الأفراد هي العملية التي يتم من خلالها تحويل المعرفة التي يمتلكها أحد الأفراد الفرد إلى شكل يمكن فهمه واستخدامه من قبل الآخرين، (8, p. 2014) وعرف (Helmstadter) التشارك المعرفي بأنه عملية تفاعل إرادي بين الأفراد ضمن إطار عمل مشترك، والموضوع الذي يتعلق به هذا التفاعل بين الأطراف المشاركة هو المعرفة، والتفاعل في حد ذاته يمكن أن يطلق عليه "تشارك المعرفة". (Wah, 2009, p. 120) يظهر من خلال التعاريف السابقة أن التشارك المعرفي هو سلوك يؤمن انتقال المعرفة إلى الآخرين، وتحويلها من معرفة الفرد إلى معرفة جماعية عن طريق التفاعل بين أفراد الجماعة الذين يتشاركون في عمل معين، والشكل الموالي يبين أهم المفاهيم المتعلقة بالتشارك المعرفي التي أظهرتها التعاريف:

شكل رقم 2: يمثل المفاهيم المتعلقة بالتشارك المعرفي،



إعداد الباحثين انطلاقاً من معطيات نظرية

2-5- مفهوم التشارك المعرفي عند (مانهايم):

يرى (مانهايم) أن المعرفة "هي منذ البداية عملية تعاونية في حياة الجماعة، ومن خلالها يكشف كل فرد عن معرفته في إطار المصير المشترك، والنشاط المشترك، والتغلب المشترك على الصعوبات"، (مانهايم، 1980، الصفحات 105-106) وبالتالي فهو يربط المعرفة إلى النشاط المشترك بين الأفراد كأعضاء متشاركين معا في بناء أفقهم الاجتماعي المعرفي، وما إصرار (مانهايم) على الجانب التعاوني في إنتاج المعرفة إلا اعتراف منه بالدور العملي الوظيفي في إنتاجها (معارك، 2017، صفحة 94)، فالمعرفة إذن ليست مجرد نتاج فردي، بل هي نتيجة للتفاعل المشترك القائم بين الأفراد داخل الجماعة.

والتشارك المعرفي وفق المنظور المانهيمي هو عملية تعاونية تتطور فيها معرفة أي فرد داخل إطار النشاطات المشتركة والتي يلعب فيها الفرد دورا متميزا إلى حد ما، فالمعرفة بهذا تتطور من خلال النشاطات الجماعية (السيد، 2023، صفحة 203)، لأن الفرد-حسبه- لا يستطيع أن يفكر بمفرده، ولا يستطيع أن يختلف ويتميز بمفرده أيضا، إنه يبدأ بأفكار الآخرين وفكرهم، فهو جزء متصل بمنظمة فكرية يرى العالم في ضوء معانيها (السيد، 2023، صفحة 202)، وبالتالي فمفهوم التشارك المعرفي عند (مانهايم) ينتج عن عملية تفاعلية بين الأفراد داخل مجموعات اجتماعية معينة لها نظرتها الخاصة وتفسيرها للعالم وما يدور فيه من أحداث، لذا يمكن القول أن التشارك المعرفي عنده ذو بعد أيديولوجي.

3-5- أهمية التشارك المعرفي عند مانهايم:

تظهر أهمية التشارك المعرفي في فكر (كارل مانهايم) في النقاط التالية:

- المساهمة في تشكيل الأفكار، لأن الأفكار عنده لا تنشأ من فراغ، بل تتشكل وتتطور وتتغير ضمن سياق تفاعلي تعاوني بين الأفراد داخل المجتمع، فالتشارك المعرفي يسمح، ويؤمن انتقال الأفكار من فرد إلى آخر، أو من الفرد إلى الجماعة في إطار العمل المشترك.
- بما أن (مانهايم) يؤمن بالنسبية الاجتماعية للمعرفة، وأنها خاضعة للظروف التاريخية والاجتماعية للمجموعة التي أنتجتها، كم أنها ذات طابع ديناميكي متغير، فإن التشارك المعرفي يعمل على نقل المعاني المعرفية الجديدة المكتسبة ضمن إطار اجتماعي معين، وتأمين وصولها لأفراد الجماعة الواحدة.
- للتشارك المعرفي عند (مانهايم) دور في التغير الاجتماعي، لأن الأفكار تتغير وتتطور - حسب- وفق تغير الظروف التاريخية والاجتماعية، وتنتقل الأفكار الجديدة عن طريق التفاعل بين الأفراد والجماعات وفق عملية تعاونية تشاركية، لأن الفرد لا يستطيع التفكير بمفرده، بل ينطلق من أفكار الآخرين.

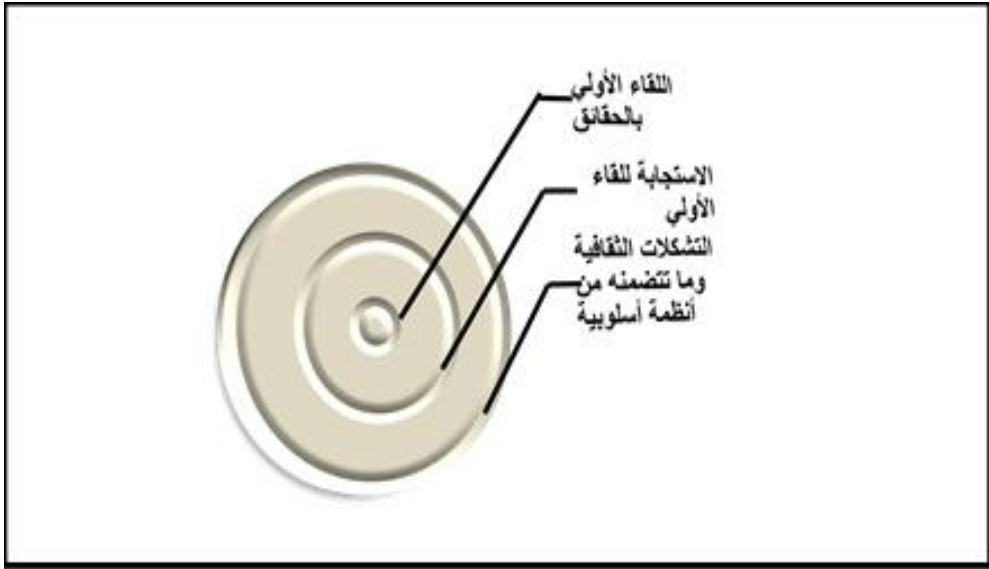
- يرى (مانهايم) من خلال أفكاره عن الأيديولوجيا واليوتوبيا أنه بالإمكان توليد أفكار جديدة من طرف الجماعة، هذه الأفكار تسعى لتبرير مصالحها، وتشاركها مع الأفراد المنتمين لها، فكل معرفة عنده ذات طابع أيديولوجي.
- تعد اللغة عند (مانهايم) وسيطا مهما لنقل المعرفة، وتشاركها بين الأفراد.
- التشارك المعرفي عند (مانهايم) ذو طابع وظيفي، لأن اشتراك الجماعة في إنتاج المعرفة يختلف عن الإنتاج الفردي لها (معارك، 2017، صفحة 94)
- 6- المعرفة وعلاقتها بالمجتمع في فكر مانهايم:

ارتبطت مقولة المعرفة عند (مانهايم) بممارسة التفكير أو الإدراك، حيث يقصد هنا "أسلوب الفكر"، فالفرد يتعلم في جماعته، لذا نجد أنه تعامل مع النموذج المعرفي باعتباره من الأساسيات الاجتماعية، وتظهر اجتماعية المعرفة بطريقتين: هي أنها توجد في مجتمع تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، وتعد المعرفة أيضا مصدر مشاركة الأعضاء في المجتمع، حيث تعطي للفرد الدراية الفكرية لجماعته الاجتماعية (نجم، 2009، صفحة 61) إذ رأى أن قسما كبيرا من المعرفة لا يمكن أن يفهم فهما صحيحا طالما ظلت ارتباطاته بالوجود وبالمضامين الاجتماعية للحياة البشرية لا تؤخذ بعين الاعتبار (مانهايم، 1980، صفحة 312)، ففهم المعرفة لا يتم إلا من خلال ربطها بالمجتمع الذي تنتمي إليه، والمجتمع هو الوحيد القادر على تنشئة الفرد.

ولبنية المعرفة ثلاثة مستويات على الأقل، وفقاً لـ (مانهايم): (kettler, 1980, p. 409)

- المستوى الأعظم: هو اللقاء الأولي مع بعض الحقائق التي نلتقي بها، بينما نتصرف بناءً على الإرادة التي نشاركها مع مجتمع ما؛
 - المستوى الثاني: يتمثل في بناء استجابة توجيهية لذلك اللقاء، ويتم ذلك عادةً عن طريق اللغة، ودائماً بالموارد الجماعية؛
 - المستوى الثالث: هو عبارة عن مستوى يغلب عليه الطابع المفاهيمي والنظري، وينعكس على المعرفة المباشرة للمستوى الثاني، تلك المعرفة التي تمثل في الواقع التشكيلات الثقافية المختلفة، وكذا الأنظمة السلوكية التي تتضمنها.
- وتظهر مستويات المعرفة لدى (مانهايم) وفق تحليله البنيوي في الشكل الموالي:

شكل رقم 3: يمثل مستويات البنية المعرفية لدى (مانهايم)

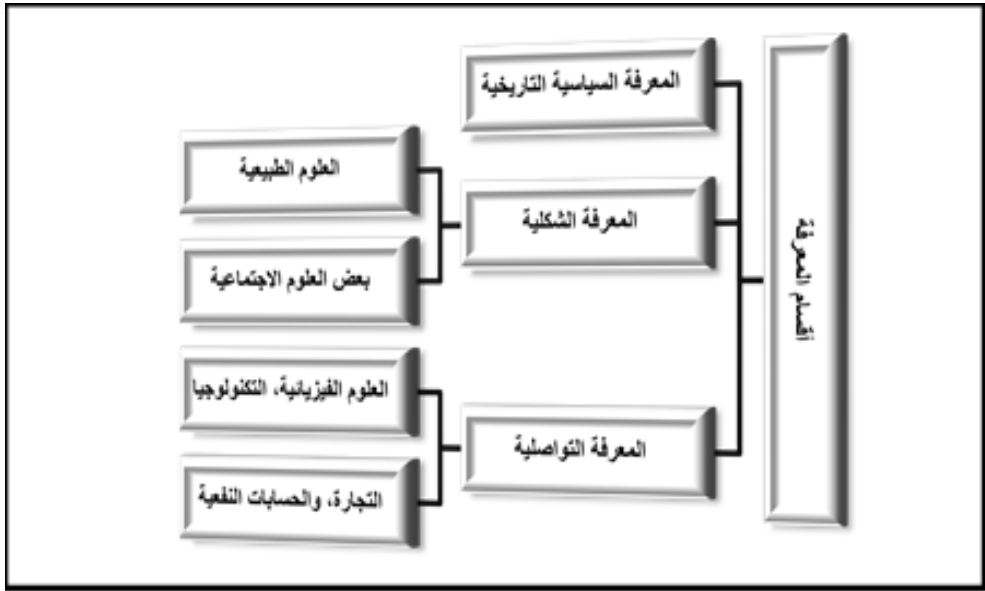


إعداد الباحثين انطلاقاً من معطيات نظرية

وفي سياق هذا التحليل البنيوي، لم يفصح (مانهايم) عن السبب الكامن وراء فهم "التاريخية" من أجل إعداد "الخطوة التالية"، لكنه قدم الإجابة فيما بعد، فالثقافة يجب أن تفهم نفسها على أنها تاريخية، لأن الثقافة تفرض نمطاً من المعرفة، وطريقة للارتباط بالوقائع الحيوية، واستمرار خلق القيم التي تمثل الثقافة نفسها، فمن دون التفسير التاريخي، لا يمكن أن يكون هناك أي تصور (kettler, 1980, p. 409) فالهدف الذي يسعى إليه من خلال هذا الطرح هو الاعتماد على التاريخانية، أي المنهج التاريخي الاجتماعي في تفسير المعرفة، وأن المعرفة ليست معزولة عن واقعها التاريخي والاجتماعي والثقافي، فهي تتأثر بكل ما يحيط بها من عوامل.

وربط (مانهايم) وجود "خطوة تالية" لجلب المعرفة الفعالة بإمكانية وجود لغة تعمل على الربط بين المشاركين في المجتمعات المتقاربة المختلفة الذين لا يملكون الخبرة المشتركة المطلوبة واللازمة للتفاهم المتبادل، ويتم تصميمها لغرض التعبير عن الفهم المشترك المطلوب لأهداف معينة، خاصة الأهداف العملية، وتقتصر هذه اللغة على الجوانب المادية أو النفعية الضيقة للأشياء تشكل هذه اللغة، من خلال منطقتها الجوهرية، وهو ما يسميه (مانهايم) بـ "المعرفة التواصلية"، وهي المعرفة الموجودة في العلوم الفيزيائية، والتكنولوجيا، والتجارة، والحسابات النفعية، باختصار، عناصر المجتمع بدلاً من المجتمع (kettler, 1980, p. 409)، أي أن اللغة أهمية قصوى في عملية التواصل المعرفي، لأنها أداة لجلب، وتبادل المعرفة، ونقلها بين الأفراد والمجموعات، كما أن المعرفة هي وليدة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.

- وقسم (كارل مانهايم) المعرفة إلى (مانهايم، 1980، صفحة 12)
- المعرفة بالعالم الخارجي (المعرفة الشكلية): تتمثل في العلوم الطبيعية، وبعض العلوم الاجتماعية.
 - المعرفة السياسية التاريخية: يتسم هذا النوع من المعرفة بسيطرة العنصر الأيديولوجي عليها، ف (مانهايم) يعتقد أنه من المستحيل فصل العنصر الإيديولوجي عن المعرفة والفكر السياسي، أما المعرفة التواصلية فيمكن استنتاجها ضمناً في كتاباته.
- وتظهر أقسام المعرفة عند (مانهايم) كما يلي:
- شكل رقم 4: يمثل أقسام المعرفة عند (مانهايم)



إعداد الباحثة انطلاقاً من معطيات نظرية

- وتظهر علاقة المعرفة بالمجتمع عند (كارل مانهايم) في ما يلي:
- إن المعرفة ليست نتاجاً فردياً منعزلاً، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال الفصل بينها وبين الواقع الاجتماعي، والمجتمع الذي نشأت فيه، إنما هي ذات "طبيعة جماعية، وطابع تعاوني باعتبارها ثمرة تجربة جماعية تميز حياة الجماعة" (عنصر، 2003، صفحة 18)
 - كما لا يخفى أيضاً تأثير الجماعات الاجتماعية على المعرفة، فالجماعة تؤثر بشكل كبير على نوعية المعارف التي يكتسبها الأفراد، وعلى أفكارهم.
 - للأيديولوجيات المختلفة دورها في تشكيل المعرفة، فهي التي تحدد كل ما هو مرغوب، أو مرفوض من الأفكار وفق مصالح الجماعات.

7- العمليات الاجتماعية المؤثرة على المعرفة: (مانهايم، 1980، الصفحات 312-314)

أدرك (مانهايم) أنه من الصعب وضع قائمة بالعمليات الاجتماعية التي تؤثر على المعرفة، لكنه حاول حصرها في العمليات الآتية:

- المنافسة: إن المنافسة- حسب- تعطي الدافع القائم خلف التفسيرات المتعددة للعالم، لذا لابد من الكشف عن خلفياتها الاجتماعية باعتبارها القوى الأساسية الخفية للمعرفة، فكل فكرة من الأفكار توجد خلفها تلك الخبرات التاريخية الجماعية للجماعة، والتي يعتبرها الفرد أمرا مسلما به.
- العلاقات القائمة بين الأجيال ذات المواضيع المختلفة: يؤثر هذا العامل على مبادئ التنظيم، ووجهات النظر السائدة في مجتمع ما في وقت ما، فالأفكار والمثل العليا متأثرة بالمنافسة وتتابع الأجيال.
- دراسة العلاقة بين أشكال الفكر وأشكال المجتمع: أي أن كل جماعة اجتماعية تتميز بنمط فكري يؤثر على نمطها المعرفي، فالكلمة نفسها، أو المفهوم نفسه تتغير معانيه بتغير الأوضاع المختلفة للأشخاص، ووضعهم الطبقي وضرب مثلا لذلك بمفهوم الحرية في الفكرين الليبرالي والمحافظ.

خاتمة:

في ختام هذه الصفحات البحثية نستنتج ما يلي:

- قدمت أعمال (كارل مانهايم) إطارا قيما لدراسة التشارك المعرفي وتوضيح العلاقة بين المعرفة والمجتمع.
- التشارك المعرفي- حسب مانهايم- هو عملية اجتماعية متشابكة تتأثر كثيرا بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي تساهم بشكل فعال في تشكيل معرفة الأفراد التي تنتقل بينهم عن طريق التفاعلات الاجتماعية القائمة ضمن إطار عمل مشترك.
- فهم (مانهايم) للتشارك المعرفي لم يقف عند مجرد تبادل المعلومات ونقلها، بل تجاوزها مبرزا فاعلية ودور الوضع الاجتماعي في تشكيل المعرفة.
- التشارك المعرفي عملية محددة اجتماعيا تتأثر بكل ما يدور في المجتمع من صراعات أيديولوجية، وما يميزه من اختلافات طبقية.
- وبالتالي فقد شكلت أفكاره نقطة انطلاق مفصلية لفهم العلاقة بين المعرفة والمجتمع، من خلال ما قدمه من اسهامات في علم الاجتماع المعرفي.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

1. السيد عبد العاطي السيد. (2023). *علم اجتماع المعرفة*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
2. العياشي عنصر. (2003). *نحو علم اجتماع نقدي* (المجلد 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
3. بسام أبو عليان. (بلا تاريخ). *محاضرات في علم اجتماع المعرفة*. خانيونس: مكتبة الطالب الجامعي.
4. طه نجم. (2009). *علم اجتماع المعرفة (نحو فهم مقولة الوعي والأيدولوجيا)*. مصر: دار المعرفة الجامعية.
5. فريدريك معتوق. (1982). *تطور علم اجتماع المعرفة من خلال تسع مؤلفات أساسية* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
6. كارل مانهايم. (1980). *الإيدولوجيا واليوتوبيا - مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة* - (المجلد 1). (محمد رجا الديري، المترجمون) شركة المكتبات الكويتية.
7. ناصر معارك. (2017). *إبستمولوجية علم الاجتماع المعرفي عند كارل مانهايم*. مجلة الباحث الاجتماعي، صفحة 501.

المراجع الأجنبية:

8. Building a Model Plan for Knowledge Sharing among the Library and Information Science Professionals in the Selected Public and Private University Libraries of Bangladesh: A Study Thesis, September. (2014). 8.
9. Karl Mannheim. (1936) *IDEOLOGY AND UTOPIA*. Louis Wirth ، Routledge & Kegan Paul Reprinted 1997 {twice}, 1999, 2000by Routledge.
10. kettler, d. v. (1980). *Karl Mannheim's sociological theory of culture*. *Canadian Journal of Sociology/Cahiers canadiens de sociologie*, p. p409.
11. Mannheim, K. (1953). *ESSAYS ON SOCIOLOGY AND SOCIAL PSYCHOLOGY*. (P. Kecskemeti, Ed.) Routledge.
12. Merton, R. k. (1968). *Social Theory and social structure*. New York: The free press.

13. REMMLING, G. (2015). *THE SOCIOLOGY OF KARL MANNHEIM With a bibliographical guide to the sociology of knowledge, ideological analysis, and social planning*. Routledge.
14. Scott, J. (2006). *FIFTY KEY SOCIOLOGISTS THE FORMATIVE THEORISTS*. the Taylor & Francis e-Library.
15. Wah, C. Y. (2009). I, Social Capital and Knowledge Sharing in Knowledge Based Organizations: An Empirical Study, Murray E. Jennex, Knowledge Management, Organizational Memory, and Transfer Behavior: Global Approaches and Advancements, Information science re. p 120. New York.
16. Zheng, T. (2017). A Literature Review on Knowledge Sharing. *Open Journal of Social Sciences*, p. 52.